المنهج الأنثروبولوجي: مقاربة بينية

The Anthropological Method: An Interdisciplinary Perspective

إشراق لبيض

جامعة الشّاذلي بن جديد. الطارف i.lebied@univ-eltarf.dz

فتيحة عاشوري

جامعة الشّاذلي بن جديد. الطارف f.achouri@univ-eltarf.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/08 تاريخ القبول: 2025/03/29 تاريخ النشر: 2026/05/22

ملخص: تسعى ورقتنا البحثية إلى تسليط الضوء على مفهوم الدراسات البينية بوصفها مسلكا علميّا، يهدف إلى تجاوز التقوقع المعرفي، مستهدفا مدّ جسور التفاعل بين التخصصات المختلفة، تحقيقا للتكامل المعرفي، فانصبّ التركيز على المنهج الأنثروبولوجي باعتباره نموذجا للانفتاح العلمي، لما يتمتّع به من مرونة منهجية تتيح له التفاعل مع غيره ضمن سياق العولمة التكاملية التي تعزز تداخل الحقول المعرفية وتفاعلها الخلاّق.

خلص البحث إلى أنّ الدراسات البينية تسهم في إنتاج معرفة أعمق وأشمل من خلال إثراء البحث العلمي بآفاق متعدّدة تسهم في تجاوز الأحادية المنهجية، كما برهنت الدراسة على أنّ المنهج الأنثروبولوجي بطبيعته التكاملية يعدّ رافداً رئيسياً لهذا التفاعل، بما يمتلكه من أدوات تحليلية وآليات منهجية تُمكّنه من الانفتاح على مختلف العلوم، ممّا يضفي على نتائجه دقّة وثراء معرفيا.

كلمات مفتاحية: الأنثروبولوجيا.، الدراسات البينية.، التفاعل.، المناهج.، مقاربة.

Abstract:

Our paper seeks to shed light on the concept of interdisciplinary studies as a scientific approach that aims to overcome cognitive silos and build bridges of interaction between different disciplines in order to achieve knowledge integration. The focus is on the anthropological method as a model of scientific openness because of its methodological flexibility that allows it to interact with others within the context of integrative globalisation that promotes the overlap and creative interaction of knowledge fields. The research concluded that interdisciplinary studies contribute to the production of deeper and more comprehensive knowledge by enriching scientific research with multiple horizons that contribute to overcoming methodological monism. The study also proved that

the anthropological method, with its integrative nature, serves as a key driver of this interaction, with its analytical tools and methodological mechanisms that enable it to open up to various sciences, thereby enhancing the accuracy and richness of its findings
Keywords: Anthropology; Interdisciplinary studies; Interaction; Perspective; Approaches.

1. مقدمة:

أصبح من الضروري -في ظلّ التطورات المعرفية والتكنولوجية السريعة الّتي يعيشها عالمنا اليوم- تجاوز حدود التخصصات الأكاديمية الضيّقة، لتتضافر العلوم وتتكامل فيما بينها من أجل فهم الظواهر المعقّدة وتحقيق نتائج مبتكرة، هذا التوجه أفرز ما يُعرف بالدراسات البينية الّتي تُعدّ من أبرز المقاربات الحديثة الّتي فتحت آفاقا واسعة أمام الباحثين للتفاعل مع مجالات معرفية متنوعة، ممّا يتيح لهم إثراء أبحاثهم واستكشاف أبعاد جديدة لا يمكن بلوغها في إطار التخصص الواحد، وفي هذا السّياق يأتي المنهج الأنثروبولوجي باعتباره نموذجا فاعلاً للتكامل المعرفي، بما يمتلكه من قدرة على التفاعل مع علوم متنوعة وهو ما يفتح المجال لتطبيق المقاربات البينية في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية.

من هنا جاءت إشكالية بحثنا تتقصى في كيفية تحقيق التكامل المعرفي الفعّال بين التخصصات العلميّة المختلفة من خلال الدّراسات البينية، وكيف تساهم هذه المقاربات في تعزيز الفهم الشامل للظواهر المعقّدة؟ وما هي الآليات والمنهجيات الّتي يمكن أن تضمن نجاح هذا التفاعل بين التخصصات المتنوّعة؟، وقد أسفرت هذه الإشكاليات عن طرح جملة من الفرضيات منها: أنّ الدراسات البينية تسهم في معالجة القضايا المعقّدة التي تتطلب مزيجا من المعارف من مختلف التخصصات، وأنّ التكامل بين التخصصات يعزّز من قدرة الباحثين على فهم الظواهر بشكل أكثر شمولية وعمقاً، والأكثر من ذلك أنّ استخدام مناهج تكاملية كالمنهج الأنثروبولوجي يضمن نجاح التفاعل بين التخصصات المختلفة.

يهدف بحثنا إلى استكشاف مفهوم الدراسات البينية وتحديد أثرها في تطور البحث العلمي مع تسليط الضوء على دور المنهج الأنثروبولوجي في تعزيز هذا التكامل، متكئين في ذلك على الإجراء الوصفي التحليلي لإبراز تأثير هذه المقاربات في تحسين جودة الأبحاث وتوسيع آفاقها.

2. الدراسات البينية ورهان التعاضد:

فتحت الدراسات البينية المجال لجميع التخصصات العلمية والإنسانية لتبادل الخبرات المتراكمة والمنفعة والتجارب المختمرة، لأجل تحسين جودة الأبحاث ورفع قيمتها وزيادة رصانتها حيث تفتح أبواب التكامل والتداخل بين عديد التخصصات العلمية والإنسانية وهو ما يمكن تسميته بـ: "المثاقفة"، بالإضافة إلى تحقيق نتائج تتسم بدقة محكمة وفق منهج شامل ملم بالخلفيات الفكرية والأدوات التطبيقية لمناهج أخرى، بهدف تطوير أساليب البحث العلمي وتنمية الإبداع بخلق أفاق جديدة مما يعزّز من مصداقية الإنتاج ويرفع دقته ويطور مهاراته، ويتحقق هذا المسعى من خلال إنشاء علاقة تبادلية بين شتى التخصصات مما يخلق بيئة مفعمة بالتنوع الفكري، وبالتّالي بلورة أفكار ونتائج جديدة تتخطى الحدود الكلاسيكية الّتي تنظر من منظور واحد.

تعرف الدراسات البينية ازدهارا كبيرا وذلك بفضل الانفجار التكنولوجي المعرفي الّذي انعكس عليها ومنحها أفاقا جديدة، ولاشك أنّها تعنى بجمع حوصلة التخصصات الضرورية لتحليل الظاهرة المراد معالجتها، فهي "عملية تفاعل وتبادل للمعارف بين تخصصات مختلفة، وهو تبادل قد يفضي إلى أن تتكامل التخصصات المتداخلة فتكون تخصصا جديدا، والبينية هي تضايف يحدث بين مكونين أو أكثر، يكون كل مكون منهما ينتمي إلى علم من العلوم أو تخصص من التخصصات"[1]، حيث لا تعالج القضية من منظور مجال واحد بل تتمرد على فكرة الأحادية والذاتية، وتتجاوزها إلى لملمة التشظي الّذي يفصل بين المعارف ويشتت تعاونها ويلزمها القطيعة، وهو ما يؤدي لاحقا ـ كتحصيل حاصل ـ إلى ضعف النتائج المتحصل عليها، وبالتالي فقد بات التداخل بين التخصصات ضرورة ملحة لمواكبة التغيرات الحاصلة في العالم، إذ يعمل على تجاوز الثغرات والفجوات الّتي تعيق التعاضد بين العلوم المختلفة.

تتّسم الدراسات البينية بقدرتها على كسر القطيعة، وتحطيم الحدود التقليدية الفاصلة بين المجالات العلمية، حيث تجمع ما تشتت بين التخصصات، فتعيد تكوينها وفق إطار

يسمح بلملمة ما تشظى وينزع إلى الاتحاد بدل التفرقة، وبهذا لا تعالج القضايا والظواهر من زاوية ضيقة، بل تتناولها وفق رؤية كلية تستجيب لتعدد المستويات والأبعاد والمعطيات.

يبدو أنّ هذا المنهج التكاملي لا يكتفي بتحسين نتائج الأبحاث فقط، بل يتطلع إلى خلق ديناميكية معرفية تثري النقاش العلمي وتتطلع إلى أهداف أكثر دقة وشمولا، وبالتّالي يمكن القول أنّ الدراسات البينية نموذج فعال لتجاوز الحواجز التي طالما حالت دون تحقيق التطور المعرفي، فهي تؤسّس لفكر جديد يتعامل مع الظواهر المتشابكة بشكل مختلف، وغير تقليدي.

3. تفاعل المناهج وتقاربها: المنهج الأنثروبولوجي أنموذجا:

اكتسبت الدراسات البينية مكانة راقية واهتماما بالغا لدى الدارسين، بسبب ولوجها للعديد من المجالات المعرفية مثل الطب، الأدب، الفن، علوم الاتصال، علم النفس وغيرها من العلوم، وقد بات من الواضح أنّ الحاجة الماسة إلى منهج متكامل قادر على لم شمل المعارف المتشتتة ودمج التخصصات المختلفة كان الدافع الجوهري الّذي أدى إلى ظهور الدراسات البينية، ونخص بالذكر السعي إلى بلورة وتكوين تخصصات جديدة تنسجم فيها العلوم مع بعضها البعض، فتصنع نقطة تقاطع وتألف مثمر يستوعب الظواهر المعقدة ويحللها من زوايا متعددة لتحقيق غايات مشتركة.

يتسم هذا المنهج الجديد بأنّه تمكن من التّمرد على التعصب المنهجي الّذي طالما فرض سيطرته على التخصصات المختلفة وشيد الحواجز بينها، فقد تخلت الدراسات البينية عن مبدأ أحادية التخصص وأبدلته بمبدأ الانفتاح الّذي يقوم على التحاور والتضافر المنهجي العميق.

يعدّ المنهج الأنثروبولوجي من أبرز الأمثلة على هذا التفاعل المعرفي، حيث أصبح جزء من الحراك التفاعلي واستطاع الانفلات من العزلة الصارمة الّتي كانت تحجز كل علم في بوتقة ضيقة، فالأنثروبولوجيا عرفت تداخلا مع العلوم الأخرى، واستفادت من أدواتها وأفكارها لتحليل الظواهر الثقافية والاجتماعية الّتي تحتاج إلى رؤى متعدّدة بشكل متكامل، كان هذا التجاوز للتقوقع عاملا أساسيا حاسما في تقوية روح الدراسات البينية الّتي استطاعت تغيير المشهد العلمي من خلال دعم التفاعل الإيجابي بين المناهج والعلوم.

4. المنهج الأنثروبولوجي: مقاربة في المفهوم:

يعدّ المنهج الأنثروبولوجي مقاربة علمية متكاملة، تسعى إلى دراسة الإنسان دراسة شاملة ملمة بالنواحي المادية والمعنوية؛ "أي الدراسة المتكاملة للإنسان بما يحويه من جوانب سيكولوجية، وبيولوجية، وفيسيولوجية، وثقافية، واجتماعية"[2]، حيث يركز هذا المنهج في بحثه على استكشاف المعتقدات الدينية بكل طقوسها الّتي تمثل أساسا روحيا للشعوب واستكناه الحياة الاجتماعية بكل تفرعاتها وما تحمله من عادات وتقاليد وقيم ومسلمات تبلور الوعي الجمعي، وتربط أفراد المجتمع الواحد سلوكيا وفكريا مما يحيل إلى تماسك الهوية الجماعية، كما يتوغل في سبر الإنتاجات الثقافية الّتي تبني الهوية، وتشكل طرق التفكير بالإضافة إلى محاولة استنباط كيفية تأثير هذه العوامل في تشكيل أساليب وطرق العيش داخل البيئة المحيطة بالعينة قيد الدراسة.

يتميز المنهج الأنثروبولوجي بالشمولية حيث "تقوم البحوث الأنثروبولوجية بالبحث عن مجموعة من المبادئ التي تحكم تطور الإنسان فيزيقيا وثقافيا، ولماذا تغير التركيب الفيزيقي للإنسان؟ لماذا توجد أنماط بشرية متميزة بمثل هذه الكثرة برغم أصلها المشترك جميعا؟ وإذا لم يكن التنوع الثقافي واللغوي عند الإنسان نتيجة فروق متوارثة بيولوجيا في السلوك، فما هو السبب في تلك الفروق الواسعة المتعددة في اللغات وفي الثقافات...؟ وماهي طبيعة الثقافة؟ وكيف تتغير الثقافات؟ وماهي العلاقة المنهجية المنظمة بين مختلف جوانب السلوك الاجتماعي والثقافي للإنسان؟ كيف يستجيب الأفراد للمثل العليا والأهداف التي تحددها لهم الثقافات؟ ماهي العلاقة بين الثقافة والشخصية؟"[3]، إذ يمتد نطاقه ليتناول ماضي الإنسان، وحاضره في الوقت عينه، فهو لا يستصغر من تأثير عنصري الزمان، والمكان في دراسته لتطور الإنسان، حيث يهتم باستخلاص القواسم الثقافية المشتركة بين الأمم والمجتمعات، ويتعمق في دراسة الإنسان حيث يضع تصورات مستقبلية تستند على التنبؤات، والاستشرافات المبنية على المعطيات المستخلصة من المقاربة المتكاملة الشاملة لجميع الحيثيات المحيطة بالإنسان، ذلك أنّه "علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته وفي السلالات البشرية وخصائصها ومميزاتها"[4]، مما يؤدي إلى فتح أفاق جديدة تتيح فهم كيفية تطور المجتمعات البشرية دون إهمال التواشج بين عناصر

الثقافة والبيئة والتاريخ، ومن خلال التركيز على هذا الترابط يتمكن المنهج الأنثروبولوجي من تشكيل صورة أعمق للكينونة الإنسانية واستشراف ملامح مستقبلها.

5. أنواع الأنثروبولوجيا:

الأنثروبولوجيا علم واسع يهتم بدراسة الإنسان في أبعاده المختلفة: البيولوجية الثقافية الاجتماعية الطبيّة واللّغوية، مستندا إلى مناهج متعدّدة لفهم تطوره عبر الزّمن، وذلك بفضل طبيعته المتداخلة الّتي تتقاطع مع علوم شتّى، ممّا يمنحه قدرة فريدة على تحليل الظواهر الإنسانية من زوايا عديدة، بحيث يتخصّص كلّ نوع في مقاربة جانب معيّن من التجربة البشرية وفق أسس منهجية دقيقة.

1.5-الأنثروبولوجيا البيولوجية:

يركز هذا النوع على دراسة البشر من منظور بيولوجي، يدرس التطور الذي مر به الإنسان عبر العصور المختلفة وينبش في ماضيه السحيق، يعنى هذا المجال بمعرفة وفهم الجوانب الغير ثقافية في حياة الإنسان مركزا على استنباط التغيرات الجينية، والفيزيولوجية فيدرس "أعضاء الجسم الإنساني من حيث الوصف والقياس والبنية واللون والوزن والقامة، وذلك قصد تحديد أوصاف وأصول السلالات البشرية، ومقارنتها مع ما يشبهها في أماكن وأزمنة مختلفة"[5]، من خلال الغوص في دراسة جينات الإنسان تسعى الأنثروبولوجيا البيولوجية إلى معرفة العملات الوراثية الّتي شاركت في تطور الإنسان، وذلك من خلال دراسة التغيرات الطارئة على الحمض النووي بمرور الزّمن.

تتداخل الأنثروبولوجيا البيولوجية مع علم البيولوجيا تداخلا كبيرا، حيث تستعير منه آلياته وأدواته لفهم العناصر الوراثية، والسمات الجسدية للإنسان مما يتيح فرصة أكبر للوصول إلى بيانات مضبوطة تسهم في بناء تصورات علمية دقيقة حول التغير البيولوجي الفيزيولوجي للإنسان هذه الدراسة تمكن الباحثين من استكشاف العناصر الّتي تربط الإنسان الحالي بأسلافه وأجداده.

تعنى الأنثروبولوجيا البيولوجية بمعرفة كيفية تأثير العوامل المناخية على الإنسان، مثل تأثير أشعة الشمس على درجة لون البشرة، أو قياس طول الفرد استنادا إلى أساليب العيش

وأنماط التغدية، هذا التكاتف بين البيولوجيا والبيئة يعكس الصلة الوثيقة بين الإنسان ومحيطه.

2.5-الأنثروبولوجيا الثقافية:

تتصف الأنثروبولجيا الثقافية بالشمولية، وهي مجال خصب وشامل يهتم بدراسة كلّ ما يحيط بالإنسان وكل ما يدخل في حياته، حيث يهدف لمعرفة وتحليل مختلف العناصر الّتي تشكل وجوده، فهو لا يكتفي بدراسة عناصر محددة من حياة الإنسان، بل يعنى بجميع الجوانب الّتي تؤثر فيه مما يكسبه القدرة على فهم التعقيدات الإنسانية بشكل شامل، ومن بين أهم الموضوعات الّتي يهتم بها هذا النوع من الأنثروبولوجيا نجد العادات والتقاليد خاصة تلك المتعلقة بالأحداث الاجتماعية المهمة مثل الزواج الذي تتنوع تفاصيله وطرق الاحتفال به من منطقة لأخرى، وبالتالي يعكس اعتقاداتها وممارساتها التي تميزها عن غيرها.

تهتم الأنثروبولوجيا الثقافية أيضا بدراسة المعتقدات الدينية، بمختلف ممارساتها وطقوسها، إذ تعكس هذه المعتقدات المنظومة الفكرية للأفراد، وتؤثر في سلوكهم ومختلف علاقاتهم وممارساتهم.

بالإضافة إلى ما سبق فإنّ الأنثروبولوجيا الثقافية تدرس الأنظمة السياسية والاقتصادية الموجودة والمتبعة في المجتمع قيد الدراسة، ومن خلال الاهتمام بهذه المواضيع المتنوعة وغيرها تقدم الأنثروبولوجيا الثقافية فهما عميقا وشاملا للمجتمعات الإنسانية، فهي فسيفساء من المجالات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والدينية...، مما يتيح التفسير الكامل لسلوك الإنسان وطرق تفكيره وأساليب عيشه.

3.5- الأنثروبولوجيا الطبية:

تعد الأنثروبولوجيا الطبية مجالا خصبا وحيويا يجمع بين دراسة الإنسان بمختلف أبعاده والطب، كأداة لتفسير وسبر الصحة والمرض في إطار ثقافي واجتماعي، لا يقتصر هذا النوع على تحليل الأعراض المرضية من منظور بيولوجي فحسب، بل يمتد إلى دراسة العوامل والسياقات الاجتماعية، البيئية، الاقتصادية، الّتي لها دور في ظهور الأمراض وانتشارها، ففي بعض الأحيان تنجم الأمراض عن انعكاسات لتعقيدات ثقافية وعقائدية تتواشج وتتفاعل بطريقة عميقة مع الشكل الذي يدرك ويعي به الأشخاص مرضهم وصحتهم.

تقوم الأنثروبولوجيا الطبية بتسليط الاهتمام على معرفة طرق العلاج التقليدية التي تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن ثقافة إلى ثقافة أخرى، والتي تدخل في تشكيل الهوية الثقافية للمجتمعات ففي المناطق الريفية مثلا يعد التداوي بالأعشاب والنباتات وسيلة أساسية للعلاج، حيث يتصل استخدامه بمعرفة عتيقة متوارثة عبر الأجيال، ويمكن اعتبار هذه العلاجات تصويرا للعلاقة الروحية التي تربط الإنسان ببيئته، وفي جانب آخر فإنّنا نجد مجتمعات يمزج وعيها الصحي بين الطرق الجديدة والطرق الموروثة، حيث يجمعون بين التداوي بطرق حديثة وطرق تقليدية، مما يعكس القدرة على التكيف مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية عبر الأزمنة، ويبرز مرونة المجتمع وقدرة الأفراد على دمج الممارسات الصحية المستوردة مع تلك الممارسات التي نشأت في بيئتهم ووصلت إليهم بشكل تراكمي.

تهتم الأنثروبولوجيا الطبية بتحديد كيفية تأثير المعتقدات الدينية في تحديد المرض وتعريفه ووضع طرق لعلاجه، حيث تختلف طرق تحديد المرض بين مجتمع وآخر، ففي بعض الثقافات قد يعتبر عقابا إلهيا، أو نتيجة لعوامل ميتافيزيقية فيتم ربطه بالسحر والشعوذة.

بناء على ما تقدم نستنتج بأنّ هذا النوع لا يكتفي بدراسة المرض كظاهرة علمية بحتة، بل يشكل جسرا لتفسير التفاعلات بين المجتمعات والبيئات الطبيعية والثقافية التي تعد جزء لا يتجزأ من الهوية، وتلعب دورا أساسيا في تشكيل معايير الصحة، وطرق التداوي.

4.5- الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

يجب على الأنثروبولوجي أن يكون ذا دراية شاملة بلغات الشعوب محل الدراسة، وأن يكون على دراية بمختلف الفنون والأديان والآداب؛ لأنّها تلعب دورا جوهريا في تمكينه من فهم العلاقات المعقدة بين مختلف مجالات الحياة لتلك الشعوب، وبالتالي تتصف بالتكاملية "لأنّها تدرس أي نظام في ترابطه بالنظم الأخرى...وأصبحت الدراسة الميدانية التي تستند للاندماج في الجماعة سمة مميزة للعمل الأنثروبولوجي"[6]، فالمقاربة الأنثروبولوجية تستوجب التفاعل المباشر والوقوف وجها إلى وجه مع الأشخاص الذين هم عينة الدراسة، فتتبع تصرفاتهم وتدرس سلوكاتهم بما في ذلك عادات أفراحهم وأحزانهم، ومختلف طقوسهم في المناسبات المختلفة التي يعيشونها؛ ولتحقيق ذلك يلجأ الدارس إلى العمل الميداني، حيث

يقيم في المنطقة المستهدفة لعدة أشهر، مما يمكنه من معرفة أبعاد حياتهم اليومية فيحضر مناسباتهم، ويشاركهم أيامهم بأدق تفاصيلها كي يتعرف إليهم عن كثب.

يعتبر الأنثروبولوجي المجتمع هوية ومنظومة متكاملة يقوم بتفكيكها إلى بنى صغرى ويحاول لم شملها مع سياقاتها الداخلية والخارجية، وأنساقها المفتوحة؛ ليتمكن من فهم ترابطاتها مع البيئة المحيطة بها، من خلال هذه الدراسة تتم دراسة الفرد ضمن نطاق أسرته والمجتمع الأكبر لذي ينتمي إليه، وبالتالي يتداخل المنهج الأنثروبولوجي مع المنهج الاجتماعي فيحدد هوية المجتمعات من خلال تحليل تطوراتها من الماضي إلى الحاضر، وكي يرصد الظاهرة المراد معالجتها فهو يتتبعها عبر مراحلها المختلفة، فيعود إلى جذورها ويرصد العلاقات السببية بينها ويربط الأسباب بمسبباتها، وبالتالي يحتاج علم الأنثروبولوجيا إلى الاستفادة من أدوات وإجراءات المنهج التاريخي لينتهي إلى نتائج موثوقة.

5.5- أنثروبولوجيا الأثار:

تتخصص أنثروبولوجيا الأثار في دراسة الإنسان القديم، تعمد مقاربتها إلى التنقيب في الأرض بغرض البحث عن مخلفاته المادية والثقافية، حيث تهتم بإيجاد الهياكل العظمية، وأثار المباني، واللباس، وكل ما بقي من مخلفات البشر القدامى، والبحث في هذا المجال يستوجب استعمال أدوات ميدانية مناسبة، مثل الأليات الحفرية والجرافات؛ لأجل العثور على الأدلة المادية التي تساعد على تتبع تطور الحضارات القديمة، وكذلك استكشاف الأماكن الأثرية، ولا تقتصر أنثروبولوجيا الأثار على الحصول على أثار الإنسان الأول فحسب، بل تقوم بتحليل دقيق للمواد المتحصل عليها؛ لفهم الأنماط الحياتية للمجتمعات القديمة، مما يساعد على فهم فكر الإنسان ومعرفة تاريخه عبر العصور المختلفة.

6.5- الأنثروبولوجيا اللغوية:

تهتم الأنثروبولوجيا اللغوية بدراسة العلاقة التي تربط بين اللغة والثقافة، وذلك باعتبار أنّ الأشخاص في حاجة دائمة إلى التواصل، والوسيلة الأولى التي لا مناص منها هي اللغة التي تعتبر ركيزة جوهرية تعكس البنية الاجتماعية للمجتمعات، ووسيلة حيوية تترجم إيديولوجياتهم الفكرية، وتوجهاتهم الثقافية، وبالتالي تأخذ اللغة ملمحا اجتماعيا وهو ما جعلها تحوز على اهتمام الأنثربولوجيين باعتبارها ظاهرة اجتماعية، وجزء من ثقافة الأفراد

معبأة بسماتهم وطرق تفكيرهم ورؤاهم للكون والعالم، فأضحت اللغة مجالا خصبا للدراسة الأنثروبولوجية؛ لكونها معبرة عن ثقافة الشعوب، ولها تأثير على تنظيم علاقاتهم والكشف عن أمالهم وطموحاتهم.

يصب الأنثروبولوجيون اللغويون اهتمامهم على استنباط طرق التواصل بين الأشخاص لأجل فهم كيفية تشكيل اللغة لواقع الشعوب، من خلال دراسة لغتهم واستكناه مختلف الجوانب التي تؤثر عليها وتدخل في تكوينها، ولا تكتفي بمقاربة اللغات المكتوبة فحسب بل تمتد لتشمل اللغات الغير مكتوبة أيضا مثل: الإشارات والأصوات، والإيماءات، والألوان محاولة استكناه كيفية استخدام الوسائل غير اللغوية في السياقات الاجتماعية، واستنباط طرق تأثيرها على التداخلات والتفاعلات الاجتماعية والرّمزية داخل المجتمعات بطبقاتها المتنوعة، ودرجات تطورها المختلفة.

7.5- أنثروبولوجيا الأدب:

انتقلت الأنثروبولوجيا من الدراسات الميدانية إلى الأدب باعتبار أنّ النّص هو منظومة اجتماعية، فهو عبارة عن أمة وحضارة، وأنّه لا يأتي من فراغ.

تفاعلت المناهج فيما بينها وفكت الأغلال التي فرضتها البنيوية، فأصبح النّص الأدبي وعاء لا ينضب من المناهج، يتفاعل فيه ما هو اجتماعي بما هو أنثروبولوجي وتاريخي، نفسي وسياسي...فأصبح النّص حلقة وصل بين العلوم والآداب الإنسانية.

بالإضافة إلى جميع أنواع الأنثروبولوجيا التي تناولناها، هناك أنواع أخرى مثل الأنثروبولوجيا الزراعية التي تعنى بدراسة علاقة الإنسان بالزراعة وتداعياتها على حالة المجتمع، وأنثروبولوجيا الاتصال التي تهتم بدراسة وسائل الاتصال وتحديد فاعليتها الثقافية، ونخلص مما تقدم إلى كون علم الأنثروبولوجيا علم متشعب، ينقسم إلى عدة أنواع، وكل نوع يتميز بآلياته وخصائصه التي تركز عن مقاربة جانب محدد من الأفراد والمجتمعات، هذه الأنواع تظهر مدى شمولية هذا العلم وتداخله مع التخصصات المختلفة ودوره الفعال في فهم الإنسان من مختلف الزوايا.

6. خاتمة:

الأنثروبولوجيا علم هجين يمتد عبر مختلف التخصصات، مستمداً مناهجه من التاريخ والاجتماع واللغويات لفهم الإنسان في سياقاته المتعددة، ويتيح من خلال تداخله مع العلوم الأخرى مقاربة أكثر شمولاً للظواهر الإنسانية، ممّا يجعله أداة فعّالة في تحليل المجتمعات وتفسير تطوراتها، إذ في ظلّ الطفرة التكنولوجية أصبحت الدراسات البينية ضرورة فكرية، تكسر عزلة التخصصات، وتفتح أفقاً واسعاً للبحث والابتكار، يتكامل فيها العلم بالمعرفة لصياغة رؤى أكثر عمقاً واتّساقاً، قادت لاستخلاص النتائج الآتية:

-عرفت الدراسات البينية نموا كبيرا بفضل التطور التكنولوجي الذي منحها أفاقا عديدة بانعكاساته على مختلف مجالات الحياة.

- يعتبر التفاعل بين التخصصات حجر الأساس للوصول إلى نتائج دقيقة مبتكرة ذات جودة عالية، وقيمة مضافة.

- تشكل الدراسات البينية ثورة فكرية في التخلص من التقوقع الأحادي للتخصصات، حيث تسهم في تقديم رؤى متكاملة وشاملة تتخطى من خلالها النظرة الأحادية المحدودة النتائج.

ـ علم الأنثروبولوجيا علم متشعب له العديد من الأنواع والمواضيع فمنها الأنثروبولوجيا الأدبية اللغوية، البيولوجية، الثقافية، الطبية....

ـ لابد لدارس الأنثروبولوجيا من الانغماس في المجتمع المراد دراسته وهو ما يجعله يتداخل مع علم الاجتماع من خلال البحث في المنظومة الاجتماعية بتقاليدها، وعاداتها، وكذلك معرفة المراحل التي مرت بها وذلك بالاستفادة من علم التاريخ.

ـ الأنثروبولوجيا علم ومنهج غير نقي، يتصف بالهجنة والقدرة على احتواء باقي المناهج والعلوم، وهو يعتمد عليها كي يلم بجميع جوانب الظاهرة المدروسة، ويتمكن من تفسيرها وتحليلها تحليلا صحيحا راكزا ودقيقا.

-الدراسات البينية استجابة ضرورية للتسارع التقني، حيث تظهر قدرة الدارسين على الاستفادة من التطور التكنولوجي لتوسيع أفاق البحث والابتكار من خلال الاستفادة من شتى الأدوات المعرفية.

-يعتبر المنهج الأنثروبولوجي مفتاحا لفهم العنصر البشري في كل مراحله وتجلياته، وهو وسيلة فعالة لاكتشاف الروابط التي تصل الماضي بالحاضر، والحاضر بالمستقبل، مما يجعله منهجا متكاملا للتعمق في فهم الإنسان في سياقه الشامل.

-تعتبر الأنثروبولوجيا الطبية أداة فعالة لفهم العلاقة التي تربط بين الصحة والمرض في سياقات ثقافية واجتماعية ودينية مختلفة، ومن خلالها يمكن معرفة كيفية تكيف الشعوب مع التحديات الصحية المختلفة والمستجدة.

7. قائمة الإحالات:

[1] Moti Nissani, fruits, salads, and smorethres: A Working Definition of Interdisciplinary; The Journal of Educational Thought, Volume29, Number 2, 1995; p:1.

[2] حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي، (المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ط2، 2003)، ص3.

[3] محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات علمية، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979)، ص112.

[4] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها، (منشورات لاروس 1989) ص 112.

[5] محمد سعيدي، الأنثروبولوجيا، مفهومها، فروعها، واتجاهاتها، (دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013)، ص47.

[6] ابتسام سيد علاّم، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، 2017/11/11.
https://www.youtube.com/playlist?list=PLMzI9_k9w3BSA4SO8p5WzimtX7rLLVAgy